

بحوث فقهية معاصرة - ٢

# بحوث فقها في الصحة

دراسة فقهية استدلالية مقارنة في مسائل الضيق



مكتبة دار الفقه والعلوم الإسلامية  
المؤلف: السيد محمد تقي المدرسي

الطبعة الأولى: ١٤٣٤ هـ  
الطبعة الثانية: ١٤٣٥ هـ

بِحَوْلِهَا فَقَدْ رَجَعْنَا إِلَى الصِّحَّةِ  
بِحَوْلِهَا فَقَدْ رَجَعْنَا إِلَى الصِّحَّةِ

— |

| —

— |

| —

بحوث فقهية معاصرة - ٢

# بحوث فقهاء الصحة

دراسة فقهية استدلالية مقارنة في مسائل الصحة

سمحة المرجع النبي آية الله العظمى الحاج  
السيد محمد تقي المدرسي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

---

هوية الكتاب:

\* الكتاب: بحوث في فقه الصحة.

\* المؤلف: المرجع الديني آية الله العظمي السيد محمد تقي المدرسي.

\* الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م. (٦١ صفحة).

\* الناشر: مركز العصر للثقافة والنشر - بيروت.

ممثلة سماحة المرجع المدرسي - البحرين.

---



— |

| —

— |

| —

## المحتويات

٩	تقديم.....
١٠	(١) إعادة ترتيب أبواب الفقه .....
١٢	(٢) الفقه فرع الكلمة الطيبة.....
١٣	(٣) مباحث الدراسة.....
١٧	الصحة .....
١٧	الحياة الطيبة.....
١٩	سكينة الإيمان.....
٢٠	تجنب الخبائث.....
٢٢	تجنب المحرمات.....
٢٣	تجنب الإضرار.....
٢٤	النظر في الطعام.....
٢٦	تجنب الإسراف.....
٢٧	تتبع الشفاء.....
٣١	العافية وشرائع الدين.....
٣٢	الإسلام والصحة العامة.....
٣٦	بصائر الآيات.....



---

فقہ الآيات.....	٣٨
أولاً: أحكام الصحة.....	٣٨
ألف: حفظ النفس والأطراف.....	٣٩
باء: الصحة والضرر البالغ.....	٤١
جيم: الصحة العامة والفساد.....	٤٧
دال: الصحة العامة والحياة الطيبة.....	٥١
هاء: أعلى مستويات الصحة الفردية.....	٥٣
ثانياً: الصحة حق إنساني.....	٥٦
المصادر.....	٥٩

## تقديم

ما بين أيدينا - في الأساس - جزءٌ من موسوعة «التشريع الإسلامي؛ مناهجه ومقاصده» لسماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي. تمثل هذه الموسوعة بأجزائها الثلاثة الأولى الأطروحة الأصولية التي يتبناها سماحته مساهمةً منه في تطوير علم أصول الفقه، أما الأجزاء الستة المتبقية فهي التطبيق العملي للأطروحة في مجالها الفقهي.

وخلافاً للمناطق، فإن الجزء في عالم المعنى قد يكون آيةً على الكل ومشيراً إليه بل وأحياناً دالاً عليه. وهذا الجزء من الموسوعة؛ الذي يبحث موضوع الصحة وآفاقه الفقهية، يُشير في طياته إلى منهجية خاصة يتَّسم بها الأسلوب الأصولي والفقهي لسماحة المرجع المدرسي. واستثماراً لهذه الأسطر في التقديم لهذا المبحث، فإنه يُمكننا الإشارة إلى بعض أبعاد هذه المنهجية.

\*\*\*\*

(١)

## إعادة ترتيب أبواب الفقه

يرجع التقسيم الدارج اليوم لأبواب الفقه الإسلامي في الإطار الشيعي الإمامي إلى جهود المحقق الحلبي [ت. ٦٧٦هـ]، حيث تبدئ الموسوعات الفقهية أو الرسائل العملية باب الطهارة وتنتهي باب الديات. ومستند هذا التقسيم - كما يُرجعه المحققون - إلى حصر عقلي مفاده «أن ما يُبحث عنه في الفقه أما أخروي أو دنيوي، والأول هو العبادات، والدنيوي أما لا يحتاج إلى لفظ وهو الأحكام كالديات والميراث والقصاص، أو يحتاج من الطرفين وهو العقود كالبيع والإجارة، أو من طرف واحد وهو الإيقاعات كالطلاق والعق»<sup>(١)</sup>، فحصى الأقسام عبادات وعقود وإيقاعات وأحكام. وهذا ما استمر عليه الفقه الشيعي الإمامي منذ ذلك العصر إلى اليوم إلا ما ندر من بعض الاستثناءات.

وعلى الرغم من سهولة هذا التقسيم إلا أنه - وفي بعض الجوانب - يشتمل على قصور، لعل أهمه أنه يُفقد الأبواب الفقهية رابطها الموضوعي والقيمي. فعلى سبيل المثال فإن النكاح والطلاق يشتركان موضوعياً في مجال واحد وهو الأسرة، إلا أنهما مفصولان في تقسيم المحقق الحلبي لأسباب شكلية ترتيبية، وكذلك الأمر في قسم العقود حيث تحتمل العقود نفسها تقسيماً آخر ينظر إلى

(١) الحلبي، نجم الدين جعفر بن الحسن، شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، تعليقات: السيد صادق الشيرازي، انتشارات استقلال، طهران - إيران، ط ٢، ١٤٠٩. ص ٥.

وحدثها الموضوعية والقيمية. تشخيصاً لهذا القصور -ربما-، وانطلاقاً من تأسيس الفقه على القيم<sup>(١)</sup>، فإن المرجع المدرسي قام بإعادة هندسة الأقسام الفقهية وأبوابها بصورة مختلفة، كما وفي الوقت ذاته استحدث أبواباً فقهية جديدة.

ويستند تقسيم المرجع المدرسي لأبواب الفقه على أساس نظرية أصولية أسس لها في كتاب التشريع الإسلامي، تنظر إلى الحكم الفرعي الفقهي على أنه نتيجة وفرع لأصل قيمي، يتصل هذا الأصل القيمي بسنة كونية بُنيت الحياة على أساسها، وهي بدورها متصلة باسم من أسماء الله الحسنى. فشرط صحة العقد -مثلاً- إنما هي فرع عن كلمة (قيمة) الصدق التي هي شرف الإنسان، وهي بدورها تتصل بكرامة الإنسان التي خلق عليها بفضل من الله -سبحانه-. انطلاقاً من هذه الرؤية للفقه، فإن المرجع المدرسي استحدث باباً جديداً في الفقه بعنوان «فقه الحياة الطيبة»، وهو الباب الذي يتناول جملة من الأمور التي ترتبط بشؤون المجتمع عموماً، سعياً نحو تحقيق وعد الله سبحانه لمن اتبع دينه بالوصول إلى الحياة الطيبة. فتناول في هذا الباب عدة فصول ابتدأها بـ«السلام» وما يترتب بهذه القيمة من أحكام فقهية، وأنهاها بـ«صلة الرحم» وما يترتب بها من أحكام الشرع.

في هذا السياق؛ فإن باب «الصحة» -المتناثر عادة في المصنفات الفقهية- يندرج ضمن فقه «الحياة الطيبة». والقضية هنا

(١) للتفصيل يمكن مراجعة: المدرسي، محمد تقي، التشريع الإسلامي: مناهجه ومقاصده. انتشارات المدرسي، طهران - إيران، ط ١. ج ٢، ص ٤٩ - ٥٨.

ليست مجرد تغيير أو استحداث باب جديد في الفقه، بل هو أبعد من ذلك كما سيتضح لاحقاً.

(٢)

### الفقه فرع الكلمة الطيبة

يتدرج البحث الفقهي عند المرجع المدرسي بصورة شجرية، وهو التشبيه الذي استخدمه القرآن الكريم واصفاً فيه «الكلمة الطيبة» التي تعني حسب ما يراه سماحته أنها المرادف القرآني لمفردة القيمة في الاستخدام المعاصر. ينطلق هذا التدرج بصورة عمودية من القيم الأم أو الأساسية أو الأصول حسب تعبير الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، وذلك بحيث يضع كل قيمة أخلاقية وما يندرج تحتها ويتربط معها بصورة متسلسلة. ثم يعطف البحث الفقهي بصورة أفقية أشبه بامتداد غصن في شجرة، بحيث يتابع امتداد القيمة الأخلاقية وتجلياتها وفروعها وأخيراً ثمارها.

ولإنجاز هذه المنهجية، فإن المرجع المدرسي يقوم بدراسة المفردة القيمية بصورة موضوعية في السياق القرآني، وذلك بتتبع المفردة واشتقاقاتها واستخداماتها في القرآن الكريم، وبهذا فهو يُجَلِّي القيمة ويُحدِّد معالهما ويُلاحظ ما يتعلّق بها. ثم تنحو الدراسة باتجاه موضوعي أيضاً تجاه السُّنَّة الشريفة، وذلك للغرض نفسه إلا أنه في هذا المستوى سيكون أكثر تفصيلاً وتبياناً ومعرفةً للأبعاد، وذلك أن هذه إحدى مهام الرسول البيان والتفصيل والشرح والتفسير. ثم ينحو البحث ثالثاً نحو التراث الفقهي الذي قدّمه العلماء رحمهم الله في كتبهم الاستدلالية، وذلك للنظر إلى الكيفية

التي عالج فيها الفقهاء المسائل المتعلقة بموضوع البحث. وأخيراً ينحو البحث إلى الدراسة المقارنة بين جهود فقهاء الشريعة وجهود الفقه القانوني المعاصر، وذلك نوعٌ من ربط الفقه بالواقع ووصله بمستويات النقاش الدائرة اليوم، بالإضافة إلى تقديم مساهمات الفقه الإسلامي في القضايا المعاصرة.

هذه المنهجية؛ بالإضافة إلى ما يتضمنها من أدوات أصولية استنباطية، هي التي سار عليها المرجع المدرسي في دراسته الفقهية، وهي التي طبقها هنا في بحث «الصحة»، وكان لذلك آثار وثمار سنعرض لها تالياً.

## (٣)

## مباحث الدراسة

يضع المرجع المدرسي جملة مباحث فقهية تحت عنوان باب «الصحة»، يأتي بدوره في سياق باب «الحياة الطيبة»، ذلك الباب الذي تبدأ فصوله بـ«السلام» كغاية أسمى للمؤمن وللمجتمع الإيماني، ثم «الحق» كأساس يحكم هذا المجتمع، والذي يتجلى بعد ذلك بـ«العدل» الذي هو إيفاء الحقوق لمستحقه، وهذا لا يكون إلا بمعالجة فصل «الأمن» الذي يُعتبر المُطبَّق لمبادئ العدالة. ولا يكون الأمن إلا بـ«البراءة» التي تُمثلُ بُعداً من الأمن القانوني، وهذه بحاجة إلى «حرمة النفس» كسور تشريعي لإشاعة الأمن، ولكي تستقيم حرمة النفس فإنها بحاجة إلى سور تنفيذي يحميها يتمثل في «القصاص»، كما أن المحافظة على الحرمات تتطلب «الحصانة» من الهتك قولاً أو فعلاً. وهذا بدوره بحاجة إلى

توفيق الدعائم الأساسية للإنسان والتي تتمثل في «الرزق» الكريم بركائزه الأولية وهي «الطعام والشراب»، و«السكن» و«الصحة»، و«التعليم». ولتحقيق دعائم السلام، فبالإضافة إلى الركائز الأساسية السابقة، فإن المجتمع الإيماني بحاجة إلى تدعيم أو اصر «الأخوة الإيمانية»، التي تتجلى في «الولاية» فيما بينهم، والعلاقة الطبيعية ب«البنين»، و«صلة الأرحام».

بوضع باب «الصحة» في هذا السياق، فإنه ليس مجرد فهم لمسائله بعمق، بل وأكثر من ذلك فإنه يُثير بعض الأسئلة الفقهية الجديدة، وينقل في الوقت ذاته مستويات بعض المسائل إلى أفق اجتماعي أوسع مدى. وهنا نُشير إلى أمرين من هذا القبيل وردت في طيات مباحث هذا الباب.

**الأول:** يُثير الحديث عن «الصحة» سؤالاً حول: إلى أي مدى تُعتبر الصحة قيمة شرعية؟ وهل هي كذلك في مرحلة العلاج فقط أم تشمل جانب الوقاية؟ وفي كلا الحالتين؛ إلى أي مدى يجب فرضاً شرعياً الاهتمام بالصحة ووقاية أم علاجاً؟ هل هو في حدوده الدنيا من حفظ النفس والأطراف واجتناب الضرر أم أنه يشمل ما هو أكثر من ذلك من التمتع بصحة وعافية جيدة ضمن المقاييس العلمية اليوم؟ ثم هل هي واجب فردي مسؤول عنه أفراد المسلمين أم أنه واجب مجتمعي يرتبط بشؤون المجتمع مجموعاً؛ كوجوب تشكيل أنظمة رقابة صحية على المواد الغذائية والأوبئة الموسمية والقيام بحملات وقاية صحية؟. وإلى أي درجة هي ملزمة؟. وما علاقة الرعاية الصحية العامة بنظام الحسبة الشرعي؟. وفي كل الأحوال؛

ما هي النصوص والمستندات الشرعية التي يُمكن للفقيه الاستناد إليها في هذا الباب؟. مجموع هذه الأسئلة بتفاصيلها وفروعها الفقهية مقارنةً مع الفقه الحديث يتناولها سماحة المرجع المدرسي في هذا الباب.

**الثاني:** في السياق ذاته، يُثير موضوع الصحة السؤال عن «حق» الإنسان بالتمتع بالرعاية الصحية. فبأيّ الأقوال ذهب الفقيه في القيمة الشرعية للصحة العامة، كيف تتحوّل من قيمة عامة إلى حق إنساني شرعي مُلزم، له تبعاته التشريعية والحقوقية؟ هل يُمكن للأدلة الشرعية أن تجعل من الصحة حقاً إنسانياً ملزماً؟ وكيف ذلك؟.

هذان الموضوعان يُشكّلان محورَي هذه الدراسة التي من خلالها يجمع المرجع المدرسي مجموع المسائل المُتفرّقة في الفقه الإسلامي في قضايا الصحة ضمنهما، بحيث يضعهما في سياق مقاصد الشرع بحيث يُيسّر للفقيه معرفة أحكام الشرع فيهما، وكذلك يُيسّر له استنباط ما يستجد فيهما من موضوعات.

مركز العصر للثقافة والنشر



— |

| —

— |

| —

## الصحة

الحياة الطيبة إحدى قيم الإيمان وتحقيقها يكون بالوقاية والعلاج، وسكينة النفس.

ومن الوقاية؛ هجر الرجز والتطهر وتجنب الإسراف في الشراب والطعام، ونبد الخبائث وانتخاب الطيبات.

ومن العلاج؛ الصيام وإقامة الصلاة وحج بيت الله الحرام، والاستشفاء بالعسل.

وسكينة النفس تقي الإنسان من أمراض كثيرة، وتساهم في الاستشفاء من غيرها.

### الحياة الطيبة

١- دعوة الإسلام إلى الحياة، هي ضد كل ما يهدد الحياة من ضراء أو بأساء (من مرض أو حرب)، وقد أمرنا الله أن نستجيب للرسول حين يدعونا إلى الحياة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا

أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١﴾.

٢- وقد جعل الله السبيل إلى الحياة الطيبة التي هي قيمة سامية، العمل بالصالحات. قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣- قال الله سبحانه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن الطوبى هي الحياة التي تبلغ غاية الطيب، والتي يوفرها الإيمان والعمل الصالح.

٤- وجعلت الحياة الحسنة من تطلعات المرسلين، حيث قال الله سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾<sup>(٤)</sup>.

ومن كل هذه الآيات نستفيد؛ أن الحياة الطيبة قيمة إيمانية، والعافية من شروط هذه الحياة، حيث جاء في الدعاء: «وَأَرْزُقْنِي الْعَافِيَةَ إِلَىٰ مُتْتَهَىٰ أَجَلِي...»<sup>(٥)</sup>، وفي دعاء مأثور آخر نجد كيف يتطلع المؤمنون إلى العافية: «وَإِيَّاكَ أَرْعَبُ فِي لِبَاسِ الْعَافِيَةِ وَتَمَامِهَا وَشُمُوسِ السَّلَامَةِ وَدَوَامِهَا»<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة الأنفال، آية ٢٤.

(٢) سورة النحل، آية ٩٧.

(٣) سورة الرعد، آية ٢٩.

(٤) سورة البقرة، آية ٢٠١.

(٥) من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٤٩٠.

(٦) مصباح الكفعمي، ج ١، ص ٢٢٩. من دعاء يوم الأحد للإمام السجاد عليه السلام.

## سكينة الإيمان

من العوامل الهامة للمرض، التوتر النفسي الذي يتسبب في طائفة من الأمراض بصورة مباشرة (كأمراض القلب والأعصاب وضغط الدم). كما وتؤثر على بعضها بصورة غير مباشرة، (كسائر الأمراض تقريباً). كما وتؤثر سلباً على شفاء الإنسان من المرض.

١- وهكذا يوفر الإيمان إطمئنان القلب بذكر الله سبحانه، حتى يستريح الإنسان على شاطئ السلام، بعيداً عن أمواج الهموم وأعاصير الشدائد. قال الله سبحانه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>(١)</sup>.

٢- ومن أبرز أسباب التوتر، الصراعات التي توقد نارها الحميات الجاهلية وأنانيات الهوى وحب الذات. أما المؤمنون فإن أفئدتهم تعمر بسكينة الإيمان، فإذا هي واحة خضراء ندية معشوشبة بالحب والأمل. قال الله سبحانه: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>.

٣- وهكذا كان القرآن شفاءً لما في الصدور، حيث قال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الرعد، آية ٢٨.

(٢) سورة الفتح، آية ٢٦.

(٣) سورة يونس، آية ٥٧.

وأى شفاء أفضل من القرآن، الذي يقتلع به المؤمن جذور الكبر والحسد والحميات والتي تورث الكآبة والقلق، وأي راحة نفسية أعظم من تلك النفسية التي تصوغها آيات الذكر فتعيش الرضا في الرخاء والشدة، وتعيش التوكل والتفويض في منعطفات الحياة الخطيرة. فلا خير يورثها المنع، ولا شر يصيبها بالجزع.

وإذا اطمأنت النفس، فإنها تصبح أقدر على تنظيم الحياة في الطعام والشراب، وفي النشاط والراحة، وفي العلاقات والممارسات الجنسية.. وهذا التنظيم لا ريب من أعظم عوامل الصحة، لأن الإفراط في الطعام أو في الجنس أو في النوم أو في الحركة، إنما هو في العادة وليد التوتر العصبي، والنهم النفسي، والاضطراب الروحي.

### تجنب الخبائث

من عوامل المرض، الخبائث من الطعام والشراب؛ مثل الميتة ولحم الخنزير والخمر، وسائر الخبائث. كالحشرات والنجاسات، وكلما يضر بالإنسان كالطعام الملوث بالميكروب والفيروس، وهكذا الأكل والشرب الذين يضران بالصحة في وقت المرض. ومن هنا فقد حرم الله الخبائث، وعندما يجتنبها المؤمن يتخلص من العديد من أسباب المرض.

١ - وقد أجمل القرآن القول في تحريم الخبائث في آية كريمة، فقال ربنا سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ

عَنْهُمْ إِصْرُهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ  
وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾.

٢- ثم فصل في آية أخرى القول في بعض المحرمات، فقال الله  
سبحانه: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ  
اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

٣- وقال الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ  
الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ  
غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣).

٤- وقال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمَ وَلَحْمُ  
الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ  
وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ  
تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا  
تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي  
وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرٍ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ  
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤).

وكما حرم الخبائث، أحل الطيبات، وشدد النكير على أولئك  
الذين يحرمونها بغير علم.

(١) سورة الأعراف، آية ١٥٧.

(٢) سورة البقرة، آية ١٧٣.

(٣) سورة النحل، آية ١١٥.

(٤) سورة المائدة، آية ٣.

### تجنب المحرمات

وقد حرم ربنا طائفة من الممارسات التي تضر بصحة الإنسان، كما تضر بسائر جوانب حياته مثل الشذوذ الجنسي، والإباحة الجنسية، وممارسة الجنس في أيام العادة (الحيض)، والزواج قبل انتهاء العدة.

كما أحل النكاح ورغب فيه، وأحل تعدد الزوجات في حدود معقولة، ونظّم العلاقات الجنسية في إطار الأحكام الشرعية.

كل ذلك يمنع المزيد من الأمراض الخطيرة، التي يورثها الإسراف أو الإقتار في الجنس أو الإباحية والشذوذ فيه.

١- فقد حرم الله الفواحش ما ظهر منها (مثل الزنا والشذوذ الجنسي)، وما بطن (مثل الكيد وسوء الظن). قال الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

إن الأمراض الخطيرة التي منشؤها الإباحية الجنسية، تفتك بالبشرية منذ انفلاتها من حدود التقوى، ولقد طهر الإسلام المجتمع البشري من كثير منها<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الأعراف، آية ٣٣.

(٢) نشر مؤخراً تقرير خطير حول انتشار مرض نقص المناعة (الايدز) في بعض المناطق الأفريقية، فهبط معدل العمر فيها من ٥٥ سنة إلى ٤٥ تقريباً. هكذا تفتك الأمراض الجنسية بالمجتمع الانساني نتيجة الإباحية.

٢- ولقد حرّم الله طائفة من النساء، حسب التفصيل المذكور في الآية الآتية. ويبدو أن السبب في تحريم بعضهن، الضعف الذي يورثه ذلك الزواج في الأبناء مما يهدد حياتهم بالخطر، إلى جانب سائر الحكم مثل تفكك الأسرة وازدياد الصراعات الداخلية. قال الله سبحانه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾<sup>(١)</sup>.

### تجنب الإضرار

وكل ما يؤدي إلى ضرر بالغ بالجسم حرام شرعاً، والعلم هو الذي يحدد مثل هذه الأضرار. وقد أحل الله ما حرّمه عند الإضرار - كما سبق في آيات كريمة - كما نفى الدين الحرج الذي قد يسببه الضرر. قال الله سبحانه: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة النساء، آية ٢٣.

(٢) سورة الحج، الآية ٧٨.



وروي عن النبي ﷺ، أنه قال: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»<sup>(١)</sup>.  
وهكذا كف عن المؤمنين جملة من الأمراض التي يورثها  
العوامل الموجبة للضرر. فإذا كان التطهر بالماء سبباً للضرر البالغ،  
وجب التيمم بدلاً عنه، مما يقي المؤمن التأثر بالبرد مثلاً.

### النظر في الطعام

النظر في الطعام لمعرفة مدى إنعام الله على الإنسان به،  
ومعرفة حكمته، والبحث عن أزكاه، وعن أفضل وسيلة للتمتع به..  
كل ذلك يساهم في عافية الإنسان.

١- وقد أمر الله سبحانه بأن ينظر الإنسان إلى طعامه، فقال  
تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

لماذا النظر؟ لكي يعرف الطعام ويعرف قيمته، حتى يشكر  
الله عليه ويتقي فيه ربه، فيلتزم بحدوده فيه، فيكون عليه هنيئاً.  
والتزامه بأحكامه وآدابه، يحفظه من الأمراض. ومن هنا روي عن  
الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «مَنْ أَكَلَ الطَّعَامَ عَلَى النَّقَاءِ، وَأَجَادَ  
الطَّعَامَ تَمَاضُغًا، وَتَرَكَ الطَّعَامَ وَهُوَ يَشْتَهِيهِ، وَلَمْ يَحْبِسِ الْغَائِطَ إِذَا أَتَاهُ،  
لَمْ يَمْرُضْ إِلَّا مَرَضَ الْمَوْتِ»<sup>(٣)</sup>.

٢- وبالنظر في الطعام، يبحث الإنسان عن الطيب منه. وقد  
ذكرتنا آيات كريمة بالأكل من الطيبات، فقال الله تعالى: ﴿وَوَضَّلْنَا

(١) وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ٣٢.

(٢) سورة عبس، آية ٢٤.

(٣) بحار الأنوار، ج ٦٣، ص ٤٢٢.

عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١﴾.

٣- وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢﴾.

ولأن الشرع قد أمر بالأكل من الطيبات فلا بد أن نبحت عن مصاديق الطيبات ماهي؟ فاذا بينها الوحي لنا أخذنا به وإلا فعلينا أن نبحت عنها بعقولنا ومعارفنا.

٤- وفي آية كريمة أمر ربنا بالأكل من كل طيب حلال في الارض. فلا يحرم الإنسان على نفسه من الطيبات شيئاً، اتباعاً لهواه وافتراء على الدين. قال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٣﴾.

٥- ونستلهم من آية كريمة؛ أن الطيب هو ما يخرج من البلد الطيب. قال الله سبحانه: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٤﴾.

٦- ونستفيد من قصة أصحاب الكهف هذه العبرة؛ أنهم طلبوا من رسولهم أن ينظر ليختار أذكى الطعام، قال الله سبحانه:

(١) سورة البقرة، آية ٥٧.

(٢) سورة المؤمنون، آية ٥١.

(٣) سورة البقرة، آية ١٦٨.

(٤) سورة الأعراف، آية ٥٨.

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾<sup>(١)</sup>.

### تجنب الإسراف

١- نهى الإسلام عن ترك الطعام بزعم حرمة (إلا بنص شرعي)، وانما أمر بأكل الطعام واداء حقه، ونهى في ذات الوقت عن الإسراف في الطعام. فالاعتدال هو أن يطعم بقدر حاجته، دون سرف. قال الله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢- وقال الله سبحانه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ونستفيد من هذه الآية؛ أن الإسراف في الشراب كما الإسراف في الطعام، قد نهى عنه.

ومعلوم أن أمراض كثيرة وخطيرة تطرأ على البشر، بسبب الإسراف في الطعام. وقد وردت احاديث شريفة في النهي عن

(١) سورة الكهف، آية ١٩.

(٢) سورة الأنعام، آية ١٤١.

(٣) سورة الأعراف، آية ٣١.

الإسراف في الطعام، وقد بينت علاقته بالمرض. فقد روى عمر بن إبراهيم، قال: «سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ النَّاسَ قَصَدُوا فِي (الطَّعْمِ لَا عَدَلَتْ) أَبَدَانُهُمْ»<sup>(١)</sup>.

وروي عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «كُلُّ دَاءٍ مِنْ التُّخْمَةِ إِلَّا الْحُمَّى، فَإِنَّهَا تَرُدُّ وَرُودًا»<sup>(٢)</sup>.

وروي أصبغ بن نباته، قال أمير المؤمنين للحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَلَا أُعَلِّمُكَ أَرْبَعَ خِصَالٍ تَسْتَعْنِي بِهَا عَنِ الطَّبِّ؟. قَالَ: بَلَى، قَالَ: لَا تَجْلِسُ عَلَى الطَّعَامِ إِلَّا وَأَنْتَ جَائِعٌ، وَلَا تَقُمُ عَنِ الطَّعَامِ إِلَّا وَأَنْتَ تَشْتَهِيهِ، وَجَوْدِ الْمَضْغِ، وَإِذَا نِمْتَ فَأَعْرِضْ نَفْسَكَ عَلَى الْخَلَاءِ، فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَ هَذَا اسْتَعْنَيْتَ عَنِ الطَّبِّ»<sup>(٣)</sup>.

### تتبع الشفاء

الشفاء من الله سبحانه، ولكل داء دواء، ومن الدواء الوقاية من أسباب الداء. وقد يسر ربنا سبل المعرفة بكتابه، وأمر بالسير والتفكير والاعتبار، وجعل في ذلك سبيلاً لرحمته. ومن الدواء العسل، الذي جعل الله فيه الشفاء.

١ - لقد عرف النبي إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بفطرته وبالوحي أن الشفاء من عند الله، فقال تعالى عنه: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) وسائل الشيعة، ج ٢٤، ص ٢٤١.

(٢) وسائل الشيعة، ج ٢٤، ص ٢٤٧.

(٣) وسائل الشيعة، ج ٢٤، ص ٢٤٥.

(٤) سورة الشعراء، آية ٨٠.

ونستوحي من ذلك البصائر التالية:

أولاً: أن لكل مرض شفاء إلا ما شاء الله. فلا بد أن نبحث عن الأدوية، ولا نستسلم للمرض. وقد ورد في الحديث المأثور عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَرَضَ، فَقَالَ: لَا أَدَاوَى حَتَّى يَكُونَ الَّذِي أَمْرَضَنِي هُوَ الَّذِي يَشْفِينِي. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ لَا أَشْفِيكَ حَتَّى تَدَاوَى، فَإِنَّ الشُّفَاءَ مِنِّي»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث، أنه قال: «أَنْزَلَ اللَّهُ الدَّوَاءَ وَأَنْزَلَ الشُّفَاءَ، وَمَا خَلَقَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ دَوَاءً، فَاشْرَبْ وَسَمِّ اللَّهَ تَعَالَى»<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: إن لجسم البشر مناعة وقدرة وهبها الله له لمقاومة الأمراض. فلا يستعجل أحد بالدواء، بل يدع الجسم يطرد المرض بنفسه في المراحل الأولية. ومن هنا جاء في الحديث المأثور عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: «تَجَنَّبِ الدَّوَاءَ مَا احْتَمَلَ بَدَنُكَ الدَّاءَ، فَإِذَا لَمْ يَحْتَمِلِ الدَّاءَ فَالدَّوَاءُ»<sup>(٣)</sup>.

وجاء في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «مَنْ ظَهَرَ تَ صِحَّتُهُ عَلَى سُقْمِهِ فَيُعَالِجُ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فَمَاتَ فَأَنَا إِلَى اللَّهِ مِنْهُ بَرِيءٌ»<sup>(٤)</sup>.

ثالثاً: لأن الشفاء من الله سبحانه، فعلى المريض ألا يكف عن الدعاء، ولا يكتفي بالدواء. وقد ورد في حديث شريف عن الإمام

(١) وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٤٠٩.

(٢) وسائل الشيعة، ج ٢٥، ص ٢٢٣.

(٣) وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٤٠٩.

(٤) وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٤٠٩.

الصادق عليه السلام، قال: «قَالَ مُوسَى عليه السلام: يَا رَبِّ مِنْ أَيْنَ الدَّاءُ؟ قَالَ: مِنِّْي، قَالَ: فَالشفاء؟ قَالَ: مِنِّْي، قَالَ: فَمَا تَصْنَعُ عِبَادُكَ بِالْمُعَالِجِ؟ قَالَ: يُطَبِّبُ بِأَنْفُسِهِمْ. فَيَوْمئذٍ سُمِّيَ الْمُعَالِجُ الطَّيِّبَ»<sup>(١)</sup>.

٢- والقرآن الحكيم شفاء ورحمة للمؤمنين، حيث قال الله سبحانه: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾<sup>(٢)</sup>.

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

ولكن كيف كان القرآن شفاء؟. وكيف نتخذه كذلك؟.

لعل في الحقائق التالية بعض الإجابة:

أولاً: إن ربنا سبحانه قد أنزل في القرآن آيات الحكمة، وبصائر العلم والعقل. فمن استشفى بالكتاب، تخلص من الخرافة والسحر والوساوس الشيطانية، وكل الحجب التي تمنع البشر من المعرفة؛ مثل الكبر والحمية والعناد على الجهل وما أشبه. وهكذا هدى الله الناس إلى سبل السلام، وإلى معرفة الحقائق بالعقل والعلم وبالسير في الارض والتجربة والاعتبار. وهكذا تنامت قدرة البشر - بعد

(١) وسائل الشيعة، ج ٢٥، ص ٢٢١.

(٢) سورة الإسراء، آية ٨٢.

(٣) سورة فصلت، آية ٤٤.

القرآن - على معرفة حقائق الحياة؛ ومنها حقائق علم الطب. ومما لا شك فيه أن المعرفة صرح متكامل يعتمد بعضه على بعض، وهكذا يُنمى حقل الطب بسائر حقول المعرفة.

ولا تزال أمام البشرية آفاق من المعرفة بالحقائق لم يقتحموها، ولو فعلوا لكانت حياتهم أهدى وأهنأ واغنى.

ثانياً: إن في القرآن أحكاماً شرعية وحدوداً إلهية، تقي العاملين بها عن كثير من الأمراض، وقد سبق الحديث عن بعضها.

ثالثاً: إن الله سبحانه قد جعل في آياته نوراً ورحمة لشفاء الإنسان من أمراضه، ويستفيد من هذه المعالجة أهل التقوى والعرفان، والله المستعان.

٤ - ومن أمثلة الشفاء التي أشار إليها القرآن؛ العسل الذي يذكر الله عباده بهذه النعمة الكبيرة، التي جعلها شفاءً لكثير من الأمراض. قال الله سبحانه: ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ولعل معنى الآية؛ أن الألوان المختلفة للعسل شفاء لأقسام مختلفة من الأمراض. فلكل مرض خصص لون من العسل، وقد تقدم الطب في هذا المجال وحدد ما ينفع كل نوع من المرض بلون من العسل. وهذا ما يدعونا إلى التصور التالي؛ أن النحل هو مصنع أدوية لمختلف الأمراض، وقد تهدينا البحوث والتجارب في هذا

(١) سورة النحل، آية ٦٩.

الحقل إلى إنشاء مزارع مختلفة للورود والأزهار والثمار والنباتات الطبية، وإرسال النحل فيها ليقوم بامتصاص فوائدها العقاقير وصنع العسل المناسب لكل مرض، والله العالم.

### العافية وشرائع الدين

لأن الله الحكيم هو الذي أمر بالشرائع، ولأنه سبحانه عليم بخلقه وحاجاتهم المختلفة، فقد كانت تلك الشرائع مفيدة لصحة البشر إلى جانب فوائدها الأخرى التي قد تكون أهم كالتقوى.

فالصلاة عبادة، وأهم ما فيها أنها قربان كل تقي، ومعراج كل مؤمن. ولكنها لم تشرع في صورة أدعية وأذكار يتلوها المؤمن بأية صورة، بل في صورة قيام وقعود وركوع وسجود بعد التطهر والوقت والاستقبال وغيرها، مما يورث العافية وتنظيم الحياة. وقد أفاضت البحوث الحديثة في منافع الصلاة الصحية.

وهكذا الصيام، فإنه عبادة يورث التقوى، ولكنه في ذات الوقت من أفضل البرامج الصحية.

والحج كذلك عبادة وميراثه التقوى، ولكن فيه منافع للناس إجتماعية وفردية، ومن منفعه عافية الحاج.

والقيام ليلاً يزيد في عمر الإنسان. وهناك العشرات من الأحكام والآداب التي تورث زيادة في العمر، بالرغم من أننا لما نكتشف سرها، مثل صلة الرحم والصدقة والوضوء قبل وبعد الطعام وغيرها.

وبكلمة؛ إن المؤمن إذا التزم بأحكام الدين وواجباته ومندوباته



وآدابه وتعاليمه، فإنه يكون أطول عمراً وأصح جسمًا. وقد ذكر العلامة المجلسي رحمته الله في هذا المجال قائلاً: «إنا ألفينا جماعة من الشيعة المخلصين، كان مدار علمهم ومعالجتهم على الأخبار المروية عنهم عليهم السلام، ولم يكونوا يرجعون إلى طبيب، وكانوا أصح أبداناً وأطول أعماراً من الذين يرجعون إلى الأطباء والمعالجين»<sup>(١)</sup>.

ولعل السبب في طول عمر الفقهاء والصالحين، هو مدى تمسكهم بشرائع الدين وآدابه؛ ومن آدابه الأدعية والأذكار التي تطمئن بها أنفسهم، ويطوّل الله بها أعمارهم، ويرزقهم العافية والسلامة.

### الإسلام والصحة العامة

لقد سبق أن تعاليم الدين الوقائية؛ مثل الترغيب في التطهر والنظافة، وتحريم الخبائث والفواحش والمحرمات من الأطعمة والأشربة.. أنها جزء هام من نظام الصحة العامة في الإسلام. ولكن إلى جانب ذلك هناك مفردات أخرى، نشير إليها في هذا الحقل؛ مثل رعاية حالة المرضى، والاهتمام بهم وتكفلهم.

١ - فلقد أسقط الله سبحانه كثيراً من الواجبات الأساسية عن المرضى، رفقاً بهم ورعاية لحالهم. وهكذا أبدل واجب التطهر بالماء إلى التطهر بالتراب (التيتم)، وخفف الصلاة من قيام إلى الصلاة بالمستطاع قعوداً أو على جنوبهم، وأجاز للمريض حلق رأسه في الاحرام قبل أن يبلغ الهدى محله، وأسقط الجهاد عن المريض، كما

(١) بحار الأنوار، ج ٥٩، ص ٧٥.

سوِّغ للمرضى وضع أسلحتهم أثناء الجهاد.

فقد سمح للمريض الذي يضر به استعمال الماء، وكذلك لمن لا يجد الماء للتطهر، أن يستخدم التراب للتطهر (التيمم). قال الله سبحانه: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾<sup>(١)</sup>.

٢- وقال الله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَذُكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد فسرت الآية بالصلاة للمريض بتلك الحالات المختلفة.

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذا ما يدل على جواز حلق الرأس في حال الإحرام للمريض

(١) سورة المائدة، آية ٦.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٩١.

(٣) سورة البقرة، آية ١٩٦.

وإن لم يبلغ الهدي محله .

٤- وقال الله سبحانه عن سقوط الجهاد: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعدُّهُ عَذَاباً أَلِيماً﴾<sup>(١)</sup>.

٥- وقال الله تعالى عن وضع الأسلحة أثناء الصلاة في القتال: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾<sup>(٢)</sup>.

٦- وهكذا أسقط الصيام عن المريض، حيث قال الله سبحانه: ﴿أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٍ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

٧- وقد نستفيد من آية كريمة؛ أن المجتمع يتكفل برزق الزمنى (المعوقين كالأعمى والأعرج والمريض)، حيث قال الله سبحانه:

(١) سورة الفتح، آية ١٧ .

(٢) سورة النساء، آية ١٠٢ .

(٣) سورة البقرة، آية ١٨٤ .

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْمْ مِمَّا تَحْتَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد فسرت الآية بتفسيرات مختلفة، ولكن الأقرب إلى سياق الآية ودلالاتها الظاهرية، التفسير المروي عن المسيب والزهري، والذي يقول: «إن المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمنهم، وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم، ويقولون قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا. فكان أولئك يتخرجون من ذلك، ويقولون لا ندخلها وهم غيب. فنفى الله سبحانه الحرج عن الزمنى في أكلهم من بيت اقاربهم، أو من بيت من يدفع إليهم المفتاح إذا خرج للغزو»<sup>(٢)</sup>.

وإذا قرأت الآية رأيت أن حكم الأكل من البيوت المذكورة خاصة بالأقارب، وعامة بالنسبة إلى الزمنى. وتفسير الآية فيما يرتبط ببيوت الأقارب ما ذكره العلامة الطبرسي، ورواه عن أئمة الهدى عليهم السلام، حيث قال عليه السلام: «وهذه الرخصة في أكل مال القربان وهم لا يعلمون ذلك، كالرخصة لمن دخل حائطاً وهو جائع أن يصيب من ثمره، أو مرّ

(١) سورة النور، آية ٦١.

(٢) تفسير مجمع البيان، ج ٧، ص ٢٤٥.

في سفره بغنم وهو عطشان أن يشرب من رسله<sup>(١)</sup> توسعة منه (سبحانه) على عباده، ورغبة بهم عن دناءة الأخلاق وضيق العطن<sup>(٢)</sup>.

ثم أضاف **ثُمَّ** : «والمروي عن أئمة الهدى **عليهم السلام** أنهم قالوا: لا بأس بالأكل لهؤلاء من بيوت من ذكر الله تعالى بغير إذنهم قدر حاجتهم من غير إسراف»<sup>(٣)</sup>.

وإذا صح هذا التفسير فيما يتصل بالمرضى، فإنه يشكل أساساً لكفالة المجتمع للمرضى، ويؤيد ذلك سائر أحكام الدين بالنسبة إلى ذوي الحاجة (مثل السائل والمحروم والمسكين وابن السبيل والمجاهد في سبيل الله وغيرهم).

### بصائر الآيات

١- لقد دعا الدين الحنيف إلى الحياة الطوبى، وأمرنا الرب أن نستجيب لرسوله إذا دعانا لما يحيننا، وكانت دعوة الصالحين حياة حسنة في الدنيا وفي الآخرة، وجعلت وسيلتها العمل الصالح، والعافية من شروط تلك الحياة الطيبة.

٢- ولقد حرّم ربنا الخبائث، حيث أنها تورث الأمراض. فالميتة ولحم الخنزير ومعاقرة الخمر وما يضرّك من الطعام والشراب (كالسم والشراب الملوّث بالفيروس القاتل)، كل أولئك أعداء صحتك.

(١) أي اللبن.

(٢) تفسير مجمع البيان، ج٧، ص ٢٤٥.

(٣) تفسير مجمع البيان، ج٧، ص ٢٤٦.

- ٣- وحرّم الله علينا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وهي تضر بالصحة. فالشذوذ الجنسي والزنا وممارسة الجنس في العادة ونكاح ما حرّم الله من ذوي الأرحام، تضر بالصحة.
- ٤- وأمر باجتنب الرجز، والتماس الطهر والتطهر في أوقات مختلفة، رعاية للعافية.
- ٥- وأمر بأن ينظر الإنسان إلى طعامه، لعله يختار أذكاه فيأكل من الطيبات، كالذي يخرج من البلد الطيب.
- ٦- ونهى عن الإسراف في الطعام والشراب، وأمر بالقصد في المشرب والمأكل.
- ٧- والله أنزل لكل داء دواءً، وعلينا البحث عنه والاستشفاء به. ولقد يسّر الله لنا سبل المعرفة بالتفكير والاعتبار وجعل الشفاء في العسل، كما جعله في كتابه.
- ٨- وجعل في شرائعه ركائز العافية. فالصلاة عبادة وهي تورث العافية، وكذلك الصيام والحج وكثير من التعاليم الدينية. وإذا رأيت طول عمر المتمسكين بتعاليم الدين، فاعلم بأن فيها الكثير الكثير من التعاليم الصحية.
- ٩- والصحة العامة من أهداف التشريع الديني. فلقد رفع الحرج الإجتماعي والفقهي عن المريض، وأسقط عنه التكاليف الضارة به والشاقة عليه؛ مثل الصيام والجهد والتطهر بالماء وحرمة حلق الرأس في الحج. ويستفاد من آية كريمة؛ جواز أكل المريض من البيوت بقدر حاجته، كجوازه للأصحاء من بيوت ذوي الأرحام، والله العالم.

### فقه الآيات

نتحدث باذن الله في هذا الفصل عن بعدين أساسيين للصحة.  
 أولاً: عن الصحة باعتبارها قيمة إيمانية على مستوى الفرد  
 والمجتمع، وما يستتبع ذلك من الأحكام الشرعية.  
 ثانياً: عن الصحة باعتبارها حقاً إنسانياً، يجب التعاون من  
 أجل تحقيقها.

### أولاً: أحكام الصحة

يبدو من جملة النصوص، أن الحياة الطوبى من كلمات  
 الإيمان (قيمة شرعية)، ومن توابعها العافية (بتمامها ودوامها).  
 وهي على مستويات بعضها واجبة يجب تحقيقها والمحافظة عليها،  
 وبعضها مرغوبة فيها مندوبة إليها، وهي التالية:

**ألف:** المستوى الأدنى من العافية، ما يحافظ بها على حياة  
 النفس وبقاء الأطراف، وهي واجبة.

**باء:** المستوى الذي يحافظ على الإنسان من خشية الضرر  
 البالغ، المؤدي مثلاً إلى الضعف العام، أو نقص كبير في قوى البشر  
 في سمعه وبصره وقوته الجنسية، ولعلها واجبة أيضاً.

**جيم:** المستوى الذي يحافظ على الصحة العامة، مما يؤثر  
 فقدها في فساد كبير، مثل نشر الأوبئة الفتاكة، وهي واجبة.

**دال:** المستوى الذي يصون المجتمع من الأوبئة غير الفتاكة،  
 ولكن التي قد تؤدي إلى وفاة البعض بسبب المضاعفات الصحية،

مثل المحافظة على البيئة ضد الإنفلونزا، ولعلها واجبة أيضاً في بعض الظروف.

هاء: المستوى الأعلى من الوقاية الصحية، التي تضمن سلامة الإنسان من مختلف الأمراض، وهي مندوبة إلا إذا وجبت بأمر الحاكم الشرعي..

والآن نفصل القول فيما أوجزنا ذكره.

### ألف: حفظ النفس والأطراف

في الشريعة دعوة إلى الحياة، وقد قال ربنا سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ودعوة إلى الحياة الحسنة، حيث قال ربنا سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾<sup>(٢)</sup>.

والمحافظة على الحياة من فطرة البشر، حيث أشارت إليها الآية الكريمة: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد اعتبرت الحياة حكمة القصاص، حيث قال ربنا سبحانه: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الأنفال، آية ٢٤.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٠١.

(٣) سورة ق، آية ١٩.

(٤) سورة البقرة، آية ١٧٩.



وهناك جملة من المحرمات الشرعية التي بين الشرع سبب حرمتها في إضرارها بحياة البشر أو بصحته، والفقيه يشرف منها على القطع بأن المحافظة على الحياة واجبة شرعاً. وقد سبق الحديث عن ذلك في فصل الإحصان.

ولا ريب أن إتلاف الحياة، وإزهاق النفس، وإبطال الأطراف والقوى الجسمية يعتبر حراماً، لقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾<sup>(١)</sup>. وقال جل وعلا: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذه الحرمة تنسحب كثيراً إلى حرمة الأسباب المؤدية إليها، ومنها الإهمال المتعمد الذي يؤدي إلى الوفاة، أو إلى نقص عضو أو فقد قدرة، وهكذا.

يمكن أن يستدل بهذه الأدلة أيضاً على ضرورة المحافظة على الحياة. وقاعدة الاستدلال الأساسية قائمة على أن عقل البشر، يحكم - لا ريب - بأن كل إنسان مسؤول عن نفسه، ويجب عليه المحافظة عليها. وفي الشرع ما يدل على ذلك أيضاً. فاذا؛ إهمال الإنسان لهذا الواجب يستتبع مسؤوليته، وهو عين إلقاء النفس في التهلكة. وبتعبير آخر؛ إن حرمة إلقاء النفس في التهلكة، تعني

(١) سورة النساء، آية ٢٩.

(٢) سورة البقرة، آية ١٩٥.

وجوب المحافظة عليها عرفاً. فمن قَصَرَ في حفظ نفسه، وهو عالم قادر على ذلك، اعتبر مهلكاً لها عرفاً. والله العالم.

وهكذا استنبط الفقهاء رحمهم الله وجوب حفظ النفس من مجمل النصوص الشرعية، وبناءً على ذلك تجب من الصحة ما يحافظ على النفس وعلى الأطراف.

قال في الجواهر في باب التيمم، نقلاً عن الشيخ في المنتهى: «لو أجنب مختاراً وخشي البرد تيمم عندنا، وهو الحجة (الاجماع) مضافاً إلى إطلاق ﴿وإن كُنتُم مَرَضَى﴾. ونفي العسر والحرج والضرر، وإرادة اليسر ورفع الضرر المظنون، والنهي عن الإلقاء في التهلكة وقتل النفس... ثم قال قُدِّسَتْ: وبأهمية حفظ النفوس والأبدان عند الشارع، من حفظ الأديان»<sup>(١)</sup>.

ومثل هذا التعبير تجده في كثير من أبواب الفقه، ويبدو أن فقهاءنا يرسلون ضرورة حفظ النفس، والأطراف إرسال المسلمات، فلا ينبغي الشك في هذه المسألة.

### باء: الصحة والضرر البالغ

هناك أنواع من المرض قد لا تؤدي إلى الوفاة أو إلى نقص عضو أو فقدان قوة، ولكنها تؤدي إلى ضرر بالغ؛ مثلاً الابتلاء بمرض السكري. فقد لا يعني الوفاة، بل يمكن التعايش معه طويلاً إذا كان من الأنواع الخفيفة، وإذا استخدم المريض نظام المراقبة بدقة، ولكنه ضرر بالغ عرفاً على الفرد. فهل يجب حفظ النفس عن

(١) جواهر الكلام، ج ٥، ص ٢٠٨.

أن تبلى بمثل هذا المرض؟ قال الفقهاء: نعم. ويستدل على ذلك بما يلي:

١- بالحديث المأثور عن النبي ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»<sup>(١)</sup>. حيث أن هذه الكلمة تدل على حرمة الإضرار بالنفس، كما تدل على حرمة الإضرار بالغير. وكأن الحديث يقول: يجب أن ينتفي الضرر بذاته، أنى كان، وكيف وقع. بيد أن استفادة هذا المعنى من الحديث لو تمت، لاقتضت حرمة كل ضرر، حتى ولو كان يسيراً.

٢- جاء في حديث مأثور عن الإمام الصادق عليه السلام: «كُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ فِيهِ الْمَضَرَّةُ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي بَدَنِهِ فَحَرَامٌ أَكْلُهُ إِلَّا فِي حَالِ الضَّرُورَةِ»<sup>(٢)</sup> وإطلاق هذا الحديث يشمل الضرر اليسير.

٣- وقد يستدل على ذلك بإطلاق قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾. حيث أن الضرر البالغ، نوع من التهلكة، وإن لم ينته إلى الوفاة. هذا إن لم يكن الضرر البالغ ذات حكمة شرعية (كالإجتهاد في العبادة)، أو عقلية (كالفوز بدرجة علمية عالية). أما إذا كان كذلك، فقد يقال إن الأدلة النافية للضرر أو الناهية عن الإلقاء في التهلكة منصرفه عنها، بل قد يقال: إن أدلة تسلط الإنسان على نفسه مقدمة عليها، لعموم قاعدة: «إِنَّ النَّاسَ مُسَلِّطُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ». والمسألة عموماً بحاجة إلى مزيد من الدراسة، وقد ذكر

(١) وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ٣٢. وقال في الكفاية: «تَنْتَهَى (ص ٣٨٠) وبعد ذكر حديث لا ضرر، وقد ادعى تواترها مع اختلافها لفظاً ومورداً: «فليكن

المراد تواترها إجمالاً بمعنى القطع بصدور بعضها».

(٢) وسائل الشيعة، ج ٢٥، ص ٨٤.

الشاطبي (من كبار علماء المذهب الشافعي) حول حكم رفع أنواع الأذى (الضرر عن النفس، إنه قد) فهم من مجموع الشريعة الإذن في رفعها على الإطلاق، رفعاً للمشقة اللاحقة (بالإنسان من جرائها) وحفظاً على الحظوظ (والنعم) التي أذن لهم فيها (والانتفاع بها).

ثم قال: «فمن ذلك الإذن في دفع ألم الجوع والعطش والحر والبرد، وفي التداوي عند وقوع الأمراض، وفي التوقي من كل مؤذٍ آدمياً كان أو غيره»<sup>(١)</sup>.

ثم قسم أنواع الأذى إلى قسمين؛ قسم يجب دفعه، وهو الذي ثبت من الشرع حتمية دفعه. وقسم لا يجب، بل يجوز دفعه، وهو الذي لم يثبت من الشرع انحتمام دفعه، وقال: «إن هذا الدفع المأذون فيه، إن ثبت انحتمامه فلا اشكال في علمنا، أن الشارع قصد رفع تلك المشقة، كما أوجب علينا دفع المحاربيين والساعين على الإسلام والمسلمين بالفساد، وجهاد الكفار القاصدين لهدم الإسلام وأهله»<sup>(٢)</sup>.

ثم قال: «وأما إن لم يثبت انحتمام الدفع، فيمكن اعتبار جهة التسليط والابتلاء (فيجوز الصبر على المحنة دون دفعها)، وإن ذلك الشاق مرسل (لا حكم فيه) من (قبل الله) المسلّط المبلي فيستسلم العبد للقضاء (إن شاء)، ولذلك لما لم يكن التداوي محتمماً، (قد) تركه كثير من السلف الصالح، وأذن عليه الصلاة والسلام في البقاء على حكم المرض، كما في حديث السوداء المجنونة (أي المبتلاة

(١) الموافقات، ج ٢، ص ٢٦١.

(٢) الموافقات، ج ٢، ص ٢٦١.

بالصرع) التي سألت النبي ﷺ أن يدعو لها، فخيرها في الأجر مع البقاء على حالتها، أو زوال ذلك. وكما في الحديث: (يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب. قيل من هم يا رسول الله؟ قال: الذين) ولا يكتون، (ولا يسترقون، ولا يتطيرون)، وعلى ربهم يتوكلون». ويمكن اعتبار جهة الحظ (والانتفاع بالنعمة، فيلزم دفع الضرر) بمقتضى الإذن. ويتأيد بالندب، كما في التداوي، حيث قال ﷺ: «تَدَاوُوا فَإِنَّ الَّذِي أَنْزَلَ الدَّاءَ أَنْزَلَ الدَّوَاءَ»<sup>(١)</sup>.

ولنا ملاحظات حول كلام الشاطبي:

أولاً: إن المفهوم من مقاصد الشريعة تحقيق الحياة الحسنة والطيبة للبشر، وأنه يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، وأنه نهى عن الإضرار في عدة مواقع، وحرّم ما حرّم على العباد لمصالحهم. ومن كل ذلك نستوحي؛ أنه لم يأذن لنا بالحاق الإضرار بأنفسنا اعتباطاً، وانه سبحانه قد أمر بالحجر على السفية إذا تصرف في أمواله بلا حكمة. فكيف لا يحصر عليه إذا فعل مثل ذلك في جسمه، والجسم أهم من المال؟. وأنه سبحانه قد بين في كتابه، أن الآلهة التي تعبد من دون الله تضر المشركين، فقال سبحانه: ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال سبحانه فيما يرتبط بتعليم السحر ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ

(١) الموافقات، ج ٢، ص ٢٦٢-٢٦٣.

(٢) سورة الحج، آية ١٣.

وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾.

وقال تعالى مخاطباً رسوله: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (٢).

ونستفيد من جملة هذه الآيات وسائر الكلمات القرآنية التي دارت حول الضر والضرار والإضرار؛ إن تجنب الضرر أمر فطري عند البشر، لا يحتاج إلى مزيد دليل أو برهان، حتى أصبح محورياً لحكم الشريعة الغراء.

ثم إن الله سبحانه خاطب النبي ﷺ، بأنه لم ينزل عليه الذكر ليشقى (لما بالغ النبي ﷺ في العبادة، حسب التفاسير). فقال سبحانه: ﴿طه﴾ \* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى \* إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾. مما يدل على أن الإفراط في العبادة إلى حد الضرر، ليس من الدين.

(١) سورة البقرة، آية ١٠٢.

(٢) سورة النساء، آية ١١٣.

(٣) سورة طه، آية ١-٣.

وقد وردت النصوص تترى في ضرورة الاستشفاء، وقد سبق بعضها وهي تدل على حسن المبادرة إلى الطبيب والدواء، وفي بعضها البراءة ممن يموت بسوء تقديره والاستفادة من المعالجة مع الصحة. فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مَنْ ظَهَرَ صِحَّتَهُ عَلَى سُقْمِهِ فَبَعَلَجُ نَفْسِهِ بِشَيْءٍ فَمَاتَ فَأَنَا إِلَى اللَّهِ مِنْهُ بَرِيءٌ»<sup>(١)</sup>.

وقد ورد حديث حول الاكتواء على عهد الرسول ﷺ فقد روي عن أبي الحسن العسكري عليه السلام قال: «قِيلَ لِلصَّادِقِ عليه السلام الرَّجُلُ يَكْتَوِي بِالنَّارِ وَرُبَّمَا قُتِلَ وَرُبَّمَا تَخَلَّصَ؟. قَالَ عليه السلام: (قَدْ) اكَتَوَى رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن إدريس رحمته الله في السرائر، قال: «قد ورد الأمر عن رسول الله ﷺ، ووردت الأخبار عن الأئمة من ذريته عليهم السلام بالتداوي، فقالوا: «تَدَاوَوْا، فَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ مَعَهُ دَوَاءً، إِلَّا السَّامَ فَإِنَّهُ لَا دَوَاءَ لَهُ»<sup>(٣)</sup>.

وقد وردت أحاديث كثيرة في حق البدن على صاحبه، وهل يمكن أن نخذل البدن في مواجهة المرض حتى يتضرر ثم لا يخدم أهدافنا بما ينبغي؟.

وهكذا يقوى في النظر وجوب المبادرة إلى دفع الضرر البالغ، إلا إذا كانت هناك حكمة أهم.

(١) وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٤٠٩.

(٢) وسائل الشيعة، ج ٢٥، ص ٢٢٣.

(٣) السرائر الحاوي لتحرير الفتاوى، ج ٣، ص ١٣٨.

### جيم: الصحة العامة والفساد

لقد حرّم الله سبحانه نشر الفساد في الأرض، تحريماً شديداً. قال الله سبحانه: ﴿وإِلَىٰ مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>، واعتبر تجنب الفساد الكبير، حكمة للنهي عن ولاية الكفار. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهكذا يجب الاهتمام بالصحة، لكي لا ينتشر الفساد في القضايا التالية:

١- منع تداول الاطعمة الفاسدة، بالرقابة على بائعي الاطعمة على كل المستويات؛ ابتداءً من الفلاحين، وانتهاءً بالمطاعم، ومروراً بالطحانيين والخبازين ومن أشبهه.

٢- وكذلك يجب الاشراف على منابع المياه، للمحافظة عليها من التلوث بالميكروبات أو المواد المشعة أو سائر المواد الضارة.

٣- ويجب التوقي من الأوبئة الخطيرة بالتلقيح، وبمنع انتقال الناس من المناطق الملوثة بها إلى المناطق النظيفة.

٤- وكذلك الرقابة على النظام الصحي العام في المدارس والدوائر والمصانع وسائر مناطق التجمع، منعاً لانتشار الأوبئة.

(١) سورة الأعراف، آية ٨٥.

(٢) سورة الأنفال، آية ٧٣.



٥- كما يجب توفير الملاجيء لحجر المبتلين بالأمراض السارية؛ مثل الجدري والجذام والسل والايديز وما أشبه، توكياً للأصحاء من الابتلاء بها.

٦- وينبغي مراقبة عمليات الازدواج، لمنع انتشار الأمراض الجنسية الخطيرة، وكذلك لحفظ النسل الناشيء من العاهات الناشئة من الجينات.

إن الدليل الشرعي الذي يمكن الاستناد اليه في هذه الانظمة الوقائية، هو منع انتشار الفساد. وقد اشتهر الحديث حول نهبي النبي ﷺ التحول من البلاد الموبوءة بالطاعون، ولعل السبب اتقاء انتشاره. وجاء في الرواية المأثورة عن علي بن جعفر، عن أخيه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: «سَأَلْتُهُ عَنِ الْوَبَاءِ يَقَعُ فِي الْأَرْضِ، هَلْ يَصْلُحُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَهْرُبَ مِنْهُ؟ قَالَ عليه السلام: يَهْرُبُ مِنْهُ مَا لَمْ يَقَعْ فِي مَسْجِدِهِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ، فَإِذَا وَقَعَ فِي أَهْلِ مَسْجِدِهِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ، فَلَا يَصْلُحُ لَهُ الْهَرَبُ مِنْهُ»<sup>(١)</sup>.

وقد وردت روايات أجازت ذلك، ولعل الجمع المنطقي بين الروايات المختلفة، الرجوع إلى ظروف الملابس التي تحيط بالأشخاص، والتي يحددها الفقيه في كل زمان.

ويبدو من الكتب التي ألفت حول الحسبة (والقوانين الإدارية التي كانت تنظم المجتمع الإسلامي)؛ أن المسلمين كانوا قد وضعوا أنظمة للصحة العامة، كان الواجب رعايتها، وكان المسؤول عنها

(١) وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٤٣١.

المحتسب (المكلف بإدارة الشؤون البلدية). وفيما يلي نذكر بعض النماذج لهذه الأنظمة<sup>(١)</sup>، والهدف بيان مدى اهتمام المسلمين بالصحة العامة في القرون الأولى، وتقديمهم فيها على سائر الأمم. ولا ريب أن ذلك كان من آثار التعاليم الإسلامية.

١- الطب علم نظري وعملي، أباحت الشريعة تعلمه لما فيه من حفظ الصحة ودفع العلل والأمراض عن هذه البنية الشريفة.. ثم قال **ثُمَّ**: «وهو من فروض الكفاية..» (وانتقد قلة المسلمين المهتمين به). وقال **ثُمَّ**: «ولا قائم به من المسلمين، وكم من بلد ليس فيه طبيب إلا من أهل الذمة!...» وأضاف: وينبغي أن يكون لهم مقدم من أهل صناعتهم.. ثم يعرضون عليه بقية أطباء البلد فيمتحنهم فمن وجدته مقصراً في علمه أمره بالإشتغال وقراءة العلم، ونهاه عن المداواة... وأضاف: وينبغي للمحتسب أن يأخذ عليهم عهد ابقرط الذي أخذه على سائر الأطباء<sup>(٢)</sup>.

٢- وبالنسبة إلى الطعام والأنظمة الصحية فيها، قال **ثُمَّ**: «يحرم عليهم (الطحانيين) احتكار الغلّة، ولا يخلطوا رديّ الحنطة بجيّدتها، ولا عتيقها بجديدها، فإنه تدليس على الناس. ويلزم (المحتسب من قبل الدولة) الطحانيين بغرلة الغلّة من التراب

(١) أنقل هذه النماذج من ساحة المرجع المنتظري **ثُمَّ**، في كتابه: (دراسات في ولاية الفقيه، ج ٢ ابتداءً من ص ٢٧٢)، حيث قال سماحته: «أقول: (وان المؤلف) ابن الأخوة محمد بن محمد بن أحمد القرشي المتوفي في ٧٢٩هـ، قد ألف كتاباً جامعاً في الحسبة سمّاه (معالم القربة في أحكام الحسبة).. ثم قال **ثُمَّ**: وأوصي الفضلاء بمطالعة هذا الكتاب...».

(٢) دراسات في ولاية الفقيه، ج ٢، ص ٢٩٢.

وتنقيتها من الطين، وتنظيفها من الغبار قبل طحنها... وأضاف:  
ويغير (ويبدل المحتسب) عليهم مناخل الدقيق في كل ثلاثة أشهر أو  
أقل. ويختبر المحتسب الدقيق، فإنهم ربّما خلطوا فيه دقيق الحمص  
أو الفول حتى يزيده زهرة، وهذا غش. ثم قال **ثُمَّ**: ويمنعهم أن لا  
يطحنوا على إثر نقر الحجر، فإنّه يضرّ بالناس إذا نزل مع الدقيق،  
ويلزمهم بقاء الغلّة وكثرة دوسها<sup>(١)</sup>.

٣- وقال **ثُمَّ**: (عن أنظمة الأفران والمخازن وأصحابها):

«ينبغي أن يأمرهم المحتسب برفع سقائف أفرانهم، ويجعل  
في سقوفها منافس واسعة للدخان، ويأمرهم بكنس بين النار في  
كلّ تعميرة، وغسل البسلية، وتنظيف مائه، وغسل المعاجن  
وتنظيفها... ولا يعجن العجان بقدميه ولا بركبتيه ولا بمرفقيه، لأن  
في ذلك مهانة للطعام، وربّما قطر في العجين شيء من عرق إبطيه أو  
بدنه، ولا يعجن إلاّ وعليه ملعقة ضيقة الكمين، ويكون ملثماً أيضاً،  
لأنّه ربّما عطس أو تكلم فقطر شيء من بصاقه أو مخاطه في العجين،  
ويشدّ على جبينه عصابة بيضاء، لئلاّ يعرق فيقطر منه شيء، ويحلق  
شعر ذراعيه، لئلاّ يسقط منه شيء في العجين. وإذا عجن في النهار،  
فليكن عنده إنسان على يده مذبّة يطرد عنه الذباب. ويعتبر عليهم  
المحتسب ما يغشون به الخبز من الكركم والزعفران... ويلزمهم أن  
لا يخبزوه حتّى يختمر، فإنّ الفطير يثقل في الميزان والمعدة...

وأضاف **ثُمَّ**: ولا يخرجون الخبز من بيت النار، حتّى  
ينضج نضجاً جيداً من غير احتراق، وقال: والمصلحة أن يجعل

(١) دراسات في ولاية الفقيه، ج ٢، ص ٢٨٥-٢٨٦.

(المحتسب) على كلِّ حانوت وظيفته رسماً يخبزنه في كل يوم (أي كمية معينة من الخبز) لئلا يختلَّ البلد عند قلة الخبز، ويتفقد الأفران في آخر النهار»<sup>(١)</sup>.

٤- وعن وظائف القصابين يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ويمنعهم المحتسب من الذبح على أبواب دكاكينهم، فإنهم يلوثون الطريق بالدم والروث، فإن في ذلك تضييقاً للطريق وإضراراً بالناس»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا تجد المسلمين قد سبقوا الدول المتحضرة في القوانين البلدية، التي تحافظ على الصحة العامة. وبالرغم من أن القوانين الصحية الحديثة كثيرة ومتنوعة وأنفع من تلك القديمة، إلا أن الفضل للسابق، وبالذات إذا عرفنا مدى تخلف العالم في تلك الأيام.

وإذا توجه المشرعون اليوم إلى روح القيم الإسلامية في مختلف المسائل، وفي الصحة العامة بالذات، إذا استوجدا منها قوانين جديدة وجيدة..

#### دال: الصحة العامة والحياة الطيبة

لا ريب أن الصحة العامة التي ينشدها الشعب في دولة إفريقية، تختلف عنها في دولة أوربية. فبينما تجد الإفريقي يطالب بأدنى مستوى من الصحة، يطالب الأوروبي بالأعلى.

والمستوى الأعلى هو الذي يحارب التلوث بكل ألوانه،

(١) دراسات في ولاية الفقيه، ج ٢، ص ٢٨٦.

(٢) دراسات في ولاية الفقيه، ج ٢، ص ٢٨٧.

ولذلك تكون الرقابة شاملة وصارمة على كافة المرافق العامة، لضمان النظافة من مختلف الجرائم. فهل يعتبر الدين ذلك واجباً؟.

الجواب؛ التعاليم الدينية التي تحرم الخبائث ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾<sup>(١)</sup>، وتأمراً بالطهارة وتجنب الرجس ﴿وَيُثَابِكُ فَطَهْرًا﴾\* وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ<sup>(٢)</sup>، وتحجب التطهير بكل مستوياته ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وتجعل النظافة من قيم الإيمان «.. وَالنَّظَافَةُ مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(٤)</sup>.

أقول: هذه التعاليم وأمثالها مطلقة وعامة، وعلى كل إنسان أن يطبق ما يستطيع منها حسب قدرته، حيث قال الله سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾<sup>(٥)</sup>.

ومن هنا فإن استطاعت الدولة أن تحافظ على نظافة الشوارع والحدائق والمرافق العامة من كل ما يلوثها من غبار أو قنار أو جرثومة، وتحافظ على طهر الأطعمة والأشربة منذ إنتاجها وحتى تسليمها بيد المستهلك، وتصون البلد من دخول الأمراض السارية.. فإن ذلك تحقيق جانباً من تلك التعاليم الالهية.

ولكن الدولة الحاكمة في بلد غارق في المشاكل الصحية، كما هو الحال في بعض الدول الإفريقية مثلاً، يجب عليها أن تصون

(١) سورة الأعراف، آية ١٥٧.

(٢) سورة المدثر، آية ٤-٥.

(٣) سورة البقرة، آية ٢٢٢.

(٤) مستدرک الوسائل، ج ١٦، ص ٣١٩.

(٥) سورة التغابن، آية ١٦.

البلاد من الاوبئة الفتاكة ومما يفسد البيئة فساداً كبيراً.  
فالأمر يختلف حسب الظروف، والمرجع فيه فتاوى الفقهاء  
وقرارات أولياء الأمور الشرعيين، والله العالم.

### هاء: أعلى مستويات الصحة الفردية

هل يجب عليك أن تحافظ على سلامتك حسب أعلى  
المقاييس الصحية، حتى يكون معدل ضغط الدم عندك وطبيعة  
تركيبة المواد في دمك وقدرة عينك وأذنيك ونبضات قلبك.. كلها  
حسب المقاييس الأفضل طبيياً، وألاً تصاب بتلوث من أي نوع، وأن  
تحافظ على نشاطك بنظام طعام أمثل ونشاط رياضي أو عملي  
كاف؟.

لا ريب أن ذلك هو المطلوب شرعاً، ولكنه ليس بواجب؟.

١- إنه ليس بواجب، لأن الشريعة سمحاء، والتقييد بنظام  
صحي صارم ليس بيسير، بل قد يكون أمراً حرجياً. ولأن الناس  
مسلطون على أنفسهم، وأحرار في حدود أحكام الشريعة، ولم تدل  
نصوص كافية دلالة ظاهرة على حرمة كل مستويات الضرر الذاتي.  
وسيرة المتشركة لا تدل على اتباعهم الأنظمة الصحية الصارمة، إلا  
قليل منهم. وقد يكون للإنسان من الأهداف المثلى، ما هو أعظم من  
هذا المستوى من الصحة. وقد قال الشاعر<sup>(١)</sup>:

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يُفقر والإقدام قتال

(١) أبو الطيب المتنبي [٣٠٣-٣٥٤هـ].

٢- بلى؛ كلمة الصحة (العافية) قيمة مثلى، رغب فيها الدين. وهناك في نصوص الشريعة المأثورة في أبواب المندوبات والآداب، نجد الكثير الكثير من التعاليم التي تورث العافية؛ ابتداءً من مقياس اختيار القرين والقرينة للحياة الزوجية، ومروراً بآداب المضاجعة، وتعاليم الحمل ونظام الطعام أثناءه، والرضاع واختيار المرضعة، وانتهاءً بآداب الطعام والشراب والمنام والعشرة..

ولعل خمس التعاليم الدينية تتناول أبعاد العافية في الجسم، وترغب فيها باعتبارها قيمة سامية. وتجدها في مختلف الأبواب الفقهية، وهي بمجموعها تورث -بمشيئة الله سبحانه - طول العمر وسلامة الجسم وقوته. إليك بعضاً من نصوصها:

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «العافيةُ أهناً النعيم»<sup>(١)</sup>. وقال عليه السلام: «العافيةُ أشرفُ اللباسين»<sup>(٢)</sup>. وقال عليه السلام أيضاً: «بالعافية تُوجدُ لذةُ الحياة»<sup>(٣)</sup>.

والدعاء من مناهج الإسلام في تربية النفوس المؤمنة على القيم المثلى، وإنك تجد الأمر به بطلب العافية من الله سبحانه. فقد جاء في الحديث: «دَخَلَ عليه السلام عَلَى مَرِيضٍ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: صَلَّيْتُ بِنَا صَلَاةَ الْمَغْرِبِ فَقَرَأْتُ الْقَارِعَةَ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ، إِنْ كَانَ لِي عِنْدَكَ ذَنْبٌ تُرِيدُ تُعَذِّبُنِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ فَعَجِّلْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا. فَصِرْتُ كَمَا تَرَى.

(١) غرر الحكم، الحكمة رقم ١١١٤٩.

(٢) غرر الحكم، الحكمة رقم ١١١٥٠.

(٣) غرر الحكم، الحكمة رقم ١١١٥٥.

فَقَالَ ﷺ: بِسْمِ مَا قُلْتَ. أَلَا قُلْتَ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾. فَدَعَا لَهُ حَتَّى أَفَاقَ<sup>(١)</sup>.

وَرَأَى عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ﷺ رَجُلًا يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصَّبْرَ. قَالَ: فَضْرَبَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ﷺ عَلَيَّ كَتِفِهِ، قَالَ: سَأَلْتَ الْبَلَاءَ؟ قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ وَالشُّكْرَ عَلَيَّ الْعَافِيَةَ»<sup>(٢)</sup>.

وكان من دعاء علي بن الحسين ﷺ، إذا سأل الله العافية وشكرها، قال: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَالْبَسْنِي عَافِيَتَكَ، ...، وَأَمُنْ عَلَيَّ بِالصِّحَّةِ وَالْأَمْنِ وَالسَّلَامَةِ فِي دِينِي وَبَدَنِي، وَالْبَصِيرَةَ فِي قَلْبِي، وَالتَّفَاضُلَ فِي أُمُورِي»<sup>(٣)</sup>.

وثمة كلمة أخيرة؛ لأن الصحة من القيم المثلى، فعلى الاهتمام الجدي بها من خلال تنفيذ التعاليم التالية:

١- الاهتمام الدائم بالأنظمة الوقائية في البلاد حسب القدرة، وبالذات فيما يرتبط بنظام الرقابة على الطعام والشراب والأدوات المستخدمة، وأنظمة الأمن (السلامة) في كافة المنتجات حسب أعلى المقاييس الدولية.

٢- التوعية الصحية للمجتمع، التي تهدف بيان أقل ما يحتاجه الفرد من التعاليم للمحافظة على صحته؛ من معرفة قواه وكيفية

(١) مستدرک الوسائل، ج ٢، ص ١٤٩.

(٢) بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٢٨٥.

(٣) الصحيفة السجادية، دعاؤه ﷺ إذا سأل الله العافية وشكرها.



المحافظة عليها عن الأمراض، وكيفية تنميتها بالطعام والشراب وممارسة الرياضة وغيرها. وهكذا معرفة الأمراض وأسبابها، وكيفية التوقي منها وعلاجها .. و..

وهذه التوعية ينبغي أن تكون عبر المدارس، منذ اول صف دراسي وحتى آخر مرحلة جامعية، كما تكون عبر أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة.

٣- الاهتمام بالعلاج بتوفير الأطباء والممرضين والأدوية والمستشفيات والمصحات، وجعل الصحة حقاً لكل إنسان.

٤- على الفقهاء أن يصدروا فتاوى شرعية محددة في القضايا الصحية الحادة؛ مثل الأمر بالتلقيح عند انتشار وباء مهلك، وذلك بعد استشارة الخبراء والأجهزة المسؤولة.

٥- على المحسنين الاهتمام بتوفير الخدمات الصحية، وجعلها مما ينفقونه في سبيل الله سبحانه.

٦- على أفراد الأمة أن يساهموا جميعاً في محاربة الفساد الصحي، إذا داهمت الوطن نازلة صحية خطيرة، كالأوبئة الخطيرة.

### ثانياً: الصحة حق إنساني

من حقوق البشر على بعضهم والتي لا بد أن تتكافل عليها الأمم، وتتعاون الأمة فيما بينها وتضمن السلطة السياسية تحقيقها، هي حق الحياة، وهي أصل سائر الحقوق. واعتراف الناس ببعضهم ضماناً لهذا الحق، وقد قال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ

مِن ذَكَرٍ وَأَنْتَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأْتُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١﴾.

ويبدو أن التعارف هنا بمعنى الإعراف المتبادل. ومن حق الحياة يتشعب حق الأمن، وحق الضمان (الطعام والشراب والسكن و. و.). وحق الصحة.

والنصوص التي أمرت بالإنفاق، تشمل الإنفاق على المحرومين في الشئون الصحية. ومن هنا نستنبط من مختلف النصوص العامة، وجوب التكافل في أمر الصحة بالقدر الممكن والضروري.

وقد أكدت وثائق حقوق الإنسان المختلفة على هذا الحق، مما جعلت هذا الحق جزءاً من الدساتير المختلفة في العالم.

ففي المادة التالية لوثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان جاء هذا النص: «لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه»<sup>(٢)</sup>.

وجاء في المادة الخامسة والعشرون: «لكل شخص الحق في مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولأسرته، ويتضمن ذلك التغذية والملبس والمسكن والعناية الطبية، وكذلك الخدمات الإجتماعية اللازمة. وله الحق في تأمين معيشته في حالات البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة وغير ذلك من فقدان وسائل العيش، نتيجة لظروف خارجة عن إرادته»<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الحجرات، آية ١٣.

(٢) حقوق الإنسان الشخصية والسياسية، ص ١٤٠.

(٣) حقوق الإنسان الشخصية والسياسية، ص ١٤٤.

وجاء في الاتفاقية الدولية بشأن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، التي أقرتها الجمعية العمومية للأمم المتحدة بتاريخ ١٦/١٢/١٩٦٦ م، جاء في المادة (١٢) منها:

١- تقر الدول الأطراف في الإتفاقية الحالية بحق كل فرد في التمتع بأعلى مستوى ممكن من الصحة البدنية والعقلية.

٢- تشتمل الخطوات التي تتخذها الدول الأطراف في الإتفاقية للوصول إلى تحقيق كلي لهذا الحقل ما هو ضروري، من أجل:

ألف: العمل على خفض نسبة الوفيات في المواليد، وفي وفيات الاطفال، ومن أجل التنمية الصحية للطفل.

باء: تحسين شتى جوانب البيئة والصناعية (هكذا..).

جيم: الوقاية من الأمراض المعدية والمتفشية ومعالجتها وحصرها.

دال: خلق ظروف من شأنها أن تؤمن الخدمات الطبية والعناية الطبية في حالة المرض<sup>(١)</sup>.

وهكذا ينبغي أن تكون الصحة هدفاً، يسعى الناس والدولة لتحقيقها بالنسبة إلى كل شخص، وتوفير كل الوسائل الممكنة. وعلى المشرعين وضع القوانين الضرورية، لتوفير هذا الحق بإذن الله سبحانه.

(١) حقوق الإنسان الشخصية والسياسية، ص ١٥٣.

## المصادر

- ١- الأمدي، عبد الواحد التميمي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، قم - إيران، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ.
- ٢- ابن بابويه القمي (الصدوق)، الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، من لا يحضره الفقيه، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
- ٣- الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ.
- ٣- الحلّي، الشيخ محمد بن منصور ابن ادريس، السرائر الحاوي لتحرير الفتاوى، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم - إيران، الطبعة: الثانية، ١٤١٠ هـ.
- ٤- الخرساني، الأخوند الشيخ محمد كاظم، كفاية الأصول، نشر وتحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام، قم - إيران، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ.

- ٥- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد، الموافقات، تحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٦- الطبرسي، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، منشورات: ناصر خسرو، طهران - إيران، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.
- ٧- الطبرسي، الشيخ ميرزا حسين النوري، مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ٨- عبدالله لحدود، جوزف مغيزل، حقوق الإنسان الشخصية والسياسية، منشورات عويدان، الطبعة الأولى.
- ٩- الكفعمي، الشيخ تقي الدين إبراهيم العاملي، جنة الأمان الواقية وجنة الإيمان الباقية، المشتهر بـ(المصباح)، تحقيق وتبويب: محمود محمد القبيسي، منشورات: مكتبة الولاة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ.
- ١٠- المجلسي، الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار عليهم السلام، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٤هـ.
- ١١- المنتظري، الشيخ حسين علي، دراسات في ولاية الفقيه و الدولة الإسلامية، الناشر: الدار الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
- ١٢- النجفي، الشيخ محمد حسن، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، تحقيق: عباس قوجاني، علي آخوندي، الناشر:

دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الخامسة،  
١٤٠٤هـ.

١٣ - الهاشمي، الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب  
عليه السلام، الصحيفة السجادية، الناشر: نشر الهادي، قم - إيران،  
الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ، ش.